غرائب العقل

لجناب الاستاذ هارفي بورتر

لا يخفى عمَّن يمعن النظر في احكام العقل وعلاقتهِ بالجسد ان ما توصَّل اليهِ الفلاسفة منها لا يستغرق جميع شرائعهِ ولا يكفي لتفسير كل غرائبهِ بل يظهر من بعض نوادرهِ ان لهُ كيفيَّات لم تزل محجوبةً عنا وقوًى تزيد على القوى المعتادة المعروفة . ولعلَّ المانع من ظهور هذه القوى في عقول البشر هو ارتباط العقل بالجسد فيثقل الجسد على جوهر العقل فيعيق بعض قواهُ عن العمل فلا نعلم بها ما دام العقل متعلقًا بالجسد واما اذا انفصلا ودخل العقل العالم الروحي فتفعل افعالها كيفية القوى . وممَّا يؤيد ما نحن بصددهِ النادرة الآتية وقد عثرت عليها حديثًا فاستخلصتها بمعناها وهي :

نبغ في القرن الماضي قسيس بامبركا يُسمَّى وليم تنَّنت فهذا قبل ان يتقلَّد رتبة القسوسية انكبَّ على الدرس بكليتهِ وانهك قوى عقلهِ في الاستعداد والاجتهاد حتى انحطَّت قوتهُ وهزل هزالاً شديدًا واشتدَّ عليهِ الم الصدر وفترت همتهُ ويئس خلاَّنهُ من حياتهِ . وكان لهُ طبيب يحبهُ حبًّا عظيمًا فلازمهُ وبذل على شفائهِ كل واسطة من وسائط الشفاء فلم يجدهِ نفعًا ولم يزل جسمهُ يدقُّ ويخمل حتى لم تبقَ منهُ الاَّ العظام وتاثر عقلهُ من انحطاط جسدهِ فصار يشكُّ في ايمانهِ . وحدث ذات يوم وهو يتكلم مع اخيهِ باللغة اللاتينية عن حالة نفسهِ والمعاد انهُ أُصيب بالشدائد في رأسهِ وغاب عن الصواب ولم يعد يستفيق فظنَّهُ اقرباؤهُ قد مات وجعلوا يهيئون لدفنهِ والناس يجتمعون للذهاب في جنازتهِ. فلما بلغ صديقهُ الطبيب ذلك وكان غائبًا حزن حزنًا شديدًا ولم يوافق اقاربهُ على دفنهِ رجاء انهُ لم يزل فيهِ رمق من الحياة فلزمهُ ثلاثة ايام يعالجهُ وهو غائب كما كان وقد غارت عيناهُ واكدَّت شفتاهُ ويبس جسدهُ كمن قد مات حقيقةً وفي اليوم الثالث جزموا جميعًا بدفنهِ ما عدا صديقهُ الطبيب فانهُ ما زال يؤمِّل لهُ الحياة وبينما الطبيب يمسح لسانهُ وقد كاد يشقُّ ممَّا تورَّم فتح عينيهِ وانَّ انينًا مخيفًا حتى اقشعرَّ كل من حضر ثم غشي عليهِ وعاد الى الغيبوبة كما كان فتجدَّدت الآمال وجعل اقرباؤهُ يسعون في استرجاعهِ الى قيد الحياة فلم يمضِ الاَّ القليل حتى فتح عينيهِ ثانيةً وانَّ وغاب ثم استفاق ايضًا وقد اشتدَّت قوتهُ عما كانت وبقي ستة اسابيع يتقدم شيئًا فشيئًا نحو الشفاء الاَّ انهُ لم يستطع على النهوض من فراشهِ والجولان في جوانب بيتهِ حتى مرت عليهِ سنة كاملة . وبينما هو جالس في نهار احد رأى اختهُ تقرأ بجانبهِ فقال ما بيدكِ قالت هذا الانجيل فقال وما هو الانجيل فتعجَّبت اختهُ من كلامهِ وقالت عهدنك ممن يعرف هذا الكتاب جيدًا . ثم تبين لها ان اخاها نسي كل ما كان قد جمعهُ قبل مرضهِ من المعارف والعلوم ولم يعد يستطيع ان يقرأ كلمة واحدةً ولا ان يفهم المراد من

القراءة ولا الكتابة . ولما تمكّنت فيهِ قوتهُ وتقوّت ارادتهُ على توجيه افكارهِ علموهُ القراءة كالاطفال وجعل اخوهُ يعلمهُ اللغة اللاتينية مع انهُ كان بارعًا فيها قبل مرضهِ . وحدث وهو يقرأ فيها على اخيهِ انهُ نهض بغتة ورفع يدهُ الى راسهِ كانهُ قد لُطِم لطمة شديدة فقال لهُ اخوهُ ما بالك قد نهضت قال اشعر كاني لُطِمتُ على راسي ويخال لي اني قرأتُ هذا الكتاب قبلاً . ومن تلك الساعة اخذ يتذكر ما كان يعرفهُ قبل مرضهِ وعادت اليهِ معارفهُ فصار يحسن التكلم باللاتينية ويدرك ما كان قد فقدهُ من مدركاتهِ السابقة ورجع اليهِ في ما رجع من سالف معارفهِ بعض ما جرى عليهِ في اثناء غيبوبتهِ . من ذلك انهُ كان منفصلاً عن الجسد مطلقًا من قيودهِ يتمتع في دار السعادة بما يرى من المناظر الشائقة ويسمع من الاصوات الرائقة حتى قيض لهُ ان يرجع الى الارض فرجع حزينًا كثيبًا . وكانت مدّة غيبتهِ في عينيهِ لمحة من الزمان مع انهُ غاب ثلثة ايام

فيتضح ما تقدم ان ما يكتسبهُ العقل من المعارف وما يرتسم على صفحات الذاكرة في هذه الحياة ان يزول من العقل البتة بل يبقى راسخًا فيهِ فتستحضرهُ الذاكرة مفصلاً مدققًا ولو مرّ عليهِ زمان طويل قبل الاستحضار . وان العقل لولا الجسد لكان لا ينسى شيئًا من كل ما يكتسبهُ ليس لان العقل مادي كالجسد بل لانهُ مرتبط بهِ فلا يتاتى لهُ والحالة هذه ان يتصرّف بمدركاتهِ كما يتصرّف بها مفصولاً عنهُ . وواضح ايضًا مما مرّ ان الانسان المشار اليهِ لم ينسَ بعد مرضهِ ما كان يعرفهُ قبلهُ لسبب ان تلك المعارف كانت قد درست وزالت بل لان جسدهُ حال دون ذاكرتهِ ومدركاتهِ فلم يعد يتهيأ لها ان تستحضرها . وعلى ذلك ادلة كثيرة تبيّن ان العقل لا يفقد شيئًا من مدركاتهِ وانهُ انما يفقدها في هذه الحياة لضعف الجسد اذ الجسد آلة لهُ فاذا ضعفت اعانتهُ في افعالهِ ولذلك اذا انفصلت عنهُ فربما استحضر كل ما مرّ عليهِ من الحوادث وما فعل من الافعال في مدّة حياتهِ

وما زال العقل مرتبطًا بالجسد فواضح ان الجسد يؤثر في كل قواهُ ذاكرةً كانت او غيرها فمن يرغب في تقوية عقلهِ فليعتنِ بجسدهِ لان ضعف الجسد يؤدي الى ضعف العقل عن العمل ولا يرد على ذلك ان بعض قوى العقل قد يقوى بضعف الجسد فانهُ شاذ والشاذ لا يقاس عليهِ . وجلّ ما يستفاد من هذا الشذوذ وامثالهِ ان العقل غير الجسد اي انهُ غير مادي وانهُ يمكن ان يوجد منفصلاً عن المادة على الاطلاق وتبقى قواهُ كما كانت او تزيد

زادت مياه النيبر وغدقت على ازقة المدينة (رومية) وارتفعت اقدامًا حتى صار الناس يركبون الزوارق ويسيرون الى بيوتهم ودام انصباب المطر احدى عشرة ساعة وبلغ ارتفاع ماء المطر الذي هطل على الارض سنة قراريط (عقد) وهذا من نوادر الطبيعة وفلتاتها (النحلة)